جَرِيمَةُ

الْقَوْلِ عَلَى اللهِ بِغَيْرِ عِلْم

فَضِيلَةِ الشَّيخِ الدكتور

عَبْدُ اللهِ بْنُ عَبْدِ الرَّحِيمِ بْنِ حُسَيْنٍ الْبُخَارِيِّ

الآجري

WWW.AJURRY.COM

الحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلَّم وبارك على أشرف الأنبياء وسيِّد المرسلين-سيِّدنا ونبيِّنا محمد بن عبد الله الأمين-وعلى آله وصحبه أجمعين ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين.

فيسرُّنا في هذه الليلية الطيبة المباركة-ليلة الثلاثاء-السادس والعشرين من شهر شعبان لعام اثنين وثلاثين وأربعمائة وألف من هجرة النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أن نستضيف عبر الهاتف فضيلة الشيخ الدكتور عبد الله بن عبد الرحيم البخاري-حفظه الله تعالى ورعاه-، في محاضرة بعنوان: (**جريمة القول على الله بغير علم**)، وذلك ضمن اللقاءات السلفيَّة القطريَّة.

ويسرُّنا أن نرحب بالإخوة والأخوات الذين يستمعون إلينا عبر البث الحي والمباشر من شبكة سحاب السلفيَّة-حرسها الله وزادها من فضله وتوفيقه-.

ونشكر لفضيلة الشيخ إتاحة هذه الفرصة الطيِّبة، ونسأل الله عَزَّوَجَلَّ أن يجري الحق على لسانه، وأن ينفعنا بِمَا نسمع إنَّه ولي ذلك والقادر عليه، فليتفضَّل الشيخ مشكورًا مأجورًا.

بسم الله الرحمن الرحيم

إنَّ الحمد لله نحمده-تَعَالى-ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلَّا الله وحده لا شريك له، وأشهد أنَّ نبينا محمَّدًا عبده ورسوله-صَلَّى الله عَلَيه وَعَلى آله وصَحْبِه وَسَلَّم.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسۡلِمُونَ ﴿١٠٢﴾﴾[آل عمران:١٠٢].

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفۡسٖ وَٰحِدَةٖ وَخَلَقَ مِنۡهَا زَوۡجَهَا وَبَثَّ مِنۡهُمَا رِجَالٗا كَثِيرٗا وَنِسَآءٗۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِي تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلۡأَرۡحَامَۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيۡكُمۡ رَقِيبٗا ﴿١﴾﴾[النساء:١].

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَقُولُواْ قَوۡلٗا سَدِيدٗا ﴿٧٠﴾ يُصۡلِحۡ لَكُمۡ أَعۡمَٰلَكُمۡ وَيَغۡفِرۡ لَكُمۡ ذُنُوبَكُمۡۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدۡ فَازَ فَوۡزًا عَظِيمًا ﴿٧١﴾﴾[الأحزاب:٧٠-٧١].

أمَّا بعد،

فإنَّ أصدَق الحديث كتـــاب اللهِ -تَعَالَى-، وخير الهـــدي هـــدي محمَّـــد -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَصَحْبِه وَسَلَّم-، وشرَّ الأمور محدثاتـــها، وكلَّ محدثة بدعة، وكلَّ بدعة ضلالة، وكلَّ ضلالة في النار.

وبعد،

أيها الأخوة المستمعون والحاضرون: عبر أثير هذه الشبكة والإذاعة السلفية المباركة إن شاء اللهُ -تَعَالَى-، نتذاكر سويًّا ما ينفعنا ويقرِّبنا من اللهِ جَلَّوَعَلَا علَّنا أن نلقاه -جَلَّ في عُلاه- وهو راضٍ عنَّا إنَّه جواد كريم.

وكما هو عنوان هذه الكلمة أو الكليمة التذكيرية عن (**جريمة القول على اللهِ جَلَّوَعَلَا بغير علم**).

وقبل أن نخوض في هذه الجريمة وأثرها السلبي السيئ أريد أن أذكِّر بين يدي هذه الكلمة بأمر مهم وهو: أنَّ اللهَ جَلَّوَعَلَا قد خلقنا لأمر عظيم ألَا وهو: تحقيق العبودية له -جَلَّ وَعَزْ-، كما قال -جَلَّ في عُلَاه-:

﴿ وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴿٥٦﴾ ﴾[الذاريات: ٥٦].

وتحقيق العبودية للهِ جَلَّوَعَلَا سبيل تحقيقه هو تعلُّم شريعة اللهِ جَلَّوَعَلَا والحرص الأكيد على تحصيلها، وتفهمها، والعمل بمقتضاها، إذ ذلك هو العلم النافع.

فكلما تعلَّم الإنسان وازداد عِلْمُه تحققت فيه، وأخلص لله جَلَّوَعَلَا في هذا التحصيل تحققت العبودية أكثر فأكثر لله جَلَّوَعَلَا، فقام بما أوجب الله عَزَّوَجَلَّ عليه من أمـــر أو نهي، وبِمَا أوجـــب عليـــه رسوله صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَعَلَىٰآلِهِوَسَلَّمَ من أمر أو نهي.

والمرء كما قال شيخ الإسلام ابن تيميه رَحِمَهُٱللَّهُ: (...وَالْإِنْسَانُ خُلِقَ ظَلُومًا جَهُولًا فَالْأَصْلُ فِيهِ عَدَمُ الْعِلْمِ وَمَيْلُهُ إلَى مَا يَهْوَاهُ مِنْ الشَّرِّ فَيَحْتَاجُ دَائِمًا إلَى عِلْمٍ مُفَصَّلٍ يَزُولُ بِهِ جَهْلُهُ وَعَدْلٍ فِي مَحَبَّتِهِ وَبُغْضِهِ وَرِضَاهُ وَغَضَبِهِ وَفِعْلِهِ وَتَرْكِهِ وَإِعْطَائِهِ وَمَنْعِهِ وَأَكْلِهِ وَشُرْبِهِ وَنَوْمِهِ وَيَقَظَتِهِ فَكُلُّ مَا يَقُولُهُ وَيَعْمَلُهُ يَحْتَاجُ فِيهِ إلَى عِلْمٍ يُنَافِي جَهْلَهُ وَعَدْلٍ يُنَافِي ظُلْمَهُ فَإِنْ لَمْ يَمُنَّ اللَّهُ عَلَيْهِ بِالْعِلْمِ الْمُفَصَّلِ وَالْعَدْلِ الْمُفَصَّلِ كَانَ فِيهِ مِنْ الْجَهْلِ وَالظُّلْمِ مَا يَخْرُجُ بِهِ عَنْ الصِّرَاطِ الْمُسْتَقِيمِ...)[1]، انتهى كلامه رَحِمَهُٱللَّهُ.

والناظر أيها الأحبَّة في النصوص الواردة في الكتاب والسنة التي تحث على تحصيل هذا العلم النافع الذي يثمر عملًا صالِحًا، ويقرِّب العبد من ربه ومولاه جَلَّوَعَلَا، ويكون سببًا رئيسًا في تحقيقه العبودية لله جَلَّوَعَلَا، الناظر في هذه الأدلَّة يجدها كثيرة.

---

[1] انظر: مجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية-رحمه الله-/ ج:١٤/ ص: ٢٧،

كما قال الحافظ النووي رَحِمَهُ ٱللَّهُ في مقدمة المجموع[٢]، (...قد تكاثرت الآيات والأخبار والآثار وتواترت وتطابقت الدلائل الصريحة وتوافقت على فضيلته...) أي: فضيلة العلم (...والحث على تحصيله والاجتهاد في اقتباسه وتعليمه...)، انتهى كلامه رَحِمَهُ ٱللَّهُ.

ولَمَّا كان الأمر-أقول-بِهذه المثابة وبِهذه المكانة في الشريعة-أدلَّته كثيرة وقد بسطناها في غير موضع-، كان لزامًا لِمَن أراد النجاة-كما قلت-هو أن يتقرب إلى الله جَلَّ وَعَلَا بِمَا ينفعه ويرفعه عند الله أن يحصِّل هذا العلم الْمُفَصَّل وأن يبتعد عمَّا يضادُّ ذلك، فكما أنَّ للعلم فضائل ومناقب فَلَه آفات مهلكة.

فقد أخرج الإمام البخاري رَحِمَهُ ٱللَّهُ في الصحيح معلَّقًا عن عقبة بن عامر-رَضِيَ اللهُ-تَعَالَى-عَنْهُ-أنَّه قال: (...تَعَلَّمُوا قَبْل الظَّانِّين...)[٣]، قال الإمام البخاري رَحِمَهُ ٱللَّهُ شارحًا هذا القول قال: (...يعني: الَّذين يتكلَّمون بِالظَّنِّ...).

والكلام أيها الإخوة بالظن ينافي الكلام بالعلم، وهذا-كما قلت-نتيجة عدم تحصيل المرء للعلم المفصل.

---

[٢] انظر (١/ ٤٠)

[٣] (كتاب الفرائض/ باب تَعليم الفرائض ١٢/ باب ٢/ ٤ - فتح)

قال النووي رَحِمَهُ ٱللَّهُ شارحًا كلام الإمام البخاري أو معقبًا عليه قال: (...معناه: تعلَّموا العلم من أهله المحقِّقين الورعين قبل ذهابِهم ومجيء قوم يتكلَّمون في العلم بِمثل نفوسهم وظنونهم الَّتي لَيس لَها مستند شرعيٌّ...)[٤] انتهى كلامه رَحِمَهُ ٱللَّهُ.

ولهذا قال سهل بن عبد الله التستري رَحِمَهُ ٱللَّهُ كما في جامع بيان العلم وفضله للحافظ ابن عبد البر، وذكره أيضًا الحافظ ابن حجر في ترجمته من التهذيب، قال: (...ما أحدث أحدٌ في العلم شيئًا إلاَّ سُئِلَ عنه يوم القيامة؛ فإن وافق السُّنَّة سلم وإلاَّ فهناك العطب...)[٥].

لِذا أيُّها الأحبَّة: نجد أنَّ سلف الأمَّة-رُضْوَانُ الله-تَعَالَى-عَلَيْهِم-وأئمَّة الدين والْمِلَّة من السلف الصالح ومن تبعهم بإحسان علموا أهمية تحصيل العلم المفصَّل لأنَّه يورث الخشية لله، والتقرب إلى الله جَلَّ وَعَلَا بِمَا يُحِبُّه، والابتعاد عن مساخطه سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، فأخلصوا لله فرفع الله من ذكرهم وبوَّأهم المكانة العالية الرفيعة في العالمين.

هؤلاء الأئمة علموا هذا الأمر حقَّ العلم، بل وعملوا بدلالة ذلك، ولهذا حفظ الله هذا الدين بأن سَخَّر هؤلاء الأئمَّة لحفظ هذا الدين ودفع

---

[٤] انظر (المجموع: ١/ ٤٢).

[٥] انظر (جامع بيان العلم وفضله: ٢/ ١٠٨٥)

كذب الكاذبين وافتيات المفتاتين عليه.

وهذه الشريعة المحفوظة قال الله جَلَّوَعَلَا في بيان أمر حفظها: ﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا ٱلذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ ﴿٩﴾ ﴾[الحجر:٩].

والأديان السابقة أيها الإخوة أو السالفة لم يتعهد الله جَلَّوَعَلَا بحفظها ولم يهيئ لها من يقوم برعايتها وصيانتها لذا لَم تسلم من التحريف، قال الله جَلَّوَعَلَا: ﴿ مِّنَ ٱلَّذِينَ هَادُواْ يُحَرِّفُونَ ٱلْكَلِمَ عَن مَّوَاضِعِهِۦ وَيَقُولُونَ سَمِعْنَا وَعَصَيْنَا وَٱسْمَعْ غَيْرَ مُسْمَعٍ وَرَٰعِنَا لَيًّۢا بِأَلْسِنَتِهِمْ وَطَعْنًا فِى ٱلدِّينِ ...﴿٤٦﴾ ﴾ [النساء:٤٦].

وندَّد الله جَلَّوَعَلَا بهم فقال-جَلَّ وَعَزَّ-: ﴿ فَوَيْلٌ لِّلَّذِينَ يَكْتُبُونَ ٱلْكِتَٰبَ بِأَيْدِيهِمْ ثُمَّ يَقُولُونَ هَٰذَا مِنْ عِندِ ٱللَّهِ لِيَشْتَرُواْ بِهِۦ ثَمَنًا قَلِيلًا ۖ فَوَيْلٌ لَّهُم مِّمَّا كَتَبَتْ أَيْدِيهِمْ وَوَيْلٌ لَّهُم مِّمَّا يَكْسِبُونَ ﴿٧٩﴾ ﴾[البقرة].

وأمَّا هذه الشريعة الغرَّاء-كما قلت-قد تكفل الله وتعهد بحفظها، وهذا فضل منه ومنَّة جَلَّوَعَلَا، وقيَّض لَهَا من عباده في كل عصر ومصر من يحفظها ويذب عنها ويصونها من كل دخيل.

ومن نعمة حفظه جَلَّوَعَلَا لدينه أن حَفِظ سنَّة نبيِّه صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَعَلَىٰآلِهِوَسَلَّمَ إذ هي الْمُبيِّنة والْمُوضِّحة والْمُقيِّدة والْمُخصِّصة

لِمَا جاء في الكتاب العزيز، ورسولنا الكريم صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيۡهِوَعَلَىٰٓآلِهِوَسَلَّمَ مهمته هي تبليغ دين الله للثقلين وتبيين ذلك لهم، وقد قام به صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ أتمَّ وأكمل قيام، فبلَّغ الرسالة وأدَّى الأمانة ونصح الأمَّة وجاهد في الله حقَّ جهاده حتى أتاه اليقين، قال الله جَلَّوَعَلَا: ﴿...وَأَنزَلۡنَآ إِلَيۡكَ ٱلذِّكۡرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيۡهِمۡ وَلَعَلَّهُمۡ يَتَفَكَّرُونَ ٤٤﴾[النحل:٤٤].

فهؤلاء الأئمة قاموا بحفظ السنة وحفظ دين الله، وهم فرسان هذا الدين، قال الإمام ابن حبانرَحِمَهُٱللَّهُ البستي في [كتاب المجروحين] قال: (...فرسان هذا العلم الذين حفظوا على المسلمين الدين وهدوهم إلى الصراط المستقيم، الذين آثروا قطع المفاوز والقفار على التنعم في الديار والأوطان في طلب السنن في الأمصار، وجمعها بالرحل والأسفار والدوران في جميع الأقطار.

حتى إنَّ أحدهم ليرحل في الحديث الواحد الفراسخ البعيدة، وفي الكلمة الواحدة الأيام الكثيرة لئلا يدخل مضل في السنن شيئًا يضل به، وإن فعل فهم الذَّابُون عن رسول الله صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيۡهِوَعَلَىٰٓآلِهِوَسَلَّمَ ذلك الكذب، والقائمون بنصرة الدين...)[٦]، انتهى كلامه رَحِمَهُٱللَّهُ.

---

[٦] يشير الشيخ-حفظه الله-لقول أبي حاتمرَحِمَهُٱللَّهُ: (...ومن أحق بهذا التأويل من

فقاموا بخدمة السنة وبخدمة شريعة الله الغرَّاء أعظم خدمة وأتَمَّ خدمة لعلمهم أنَّ في ذلك صيانة لِهذه الشريعة، والقيام بما أوجب الله عَزَّوَجَلَّ عليهم من الحفظ والمحافظة لها.

وهؤلاء العلماء الذين صانوا وقاموا بهذا الجهد العظيم هم متفاوتون في ذلك والسبب راجع في ذلك والناس كذلك لِمَن سلك سبيلهم متفاوتون فهم طبقات في العلم كما قال الإمام الشافعي رَحِمَهُ ٱللَّهُ في الرسالة: (...والناس في العلم طبقات، موقعُهم من العلم بقدْر درجاتهم في العلم به، فحقٌّ على طلبة العلم بلوغُ غاية جهدِهم في الاستكثار من علمه، والصبرُ على كل عارض دون طَلَبِه، وإخلاص النية لله في استدراك علمه نصاً واستنباطاً، والرغبة إلى الله في العون عليه، فإنَّه لا يُدرَك خيرٌ إلا بعونه.

فإنَّ من أدرك علم أحكام الله في كتابه نصًا واستدلالًا، ووفقه الله

قوم فارقوا الأهل والأوطان وقنعوا بالكسر والأطمار في كتب السنن والآثار وطلب الحديث والأخبار، يجولون في البراري والقفار، ولا يبالون بالبؤس والإقتار، متَّبعون لآثار السلف الماضين، والسالكون ثبج محجة الصالحين، ورد الكذب عن رسول رب العالمين وذب الزور عنه حتَّى وضع للمسلمين المنار، وتبيَّن لهم الصحيح من بين الموضوع والزور من الآثار...)أهـ، (المجروحين/ ج:١، ص:٨٤/ دار الصميعي).

للقول والعمل بما علِم منه: فاز بالفضيلة في دينه ودنياه، وانتفت عنه الرِّيَب، ونَوَّرت في قلبه الحكمة، واستوجب في الدين موضع الإمامة...)[٧] انتهى كلامه رَحِمَهُ ٱللَّهُ.

فبعد هذه الإلْمَاحة كما يقال بين يدي موضوع هذه الكلمة أو هذه الكليمة، إذا علمت وأدركت ذلك يا عبد الله وفهمته وعقلته علمت أن من أعظم آفات هذا العلم الصحيح القول على الله جَلَّوَعَلَا بغير علم، فهي جريمة عظيمة وأمر قبيح وكذب وافتيات على الله جَلَّوَعَلَا.

إذ القول عليه جَلَّوَعَلَا بغير علم كذب-كما قلت-وافتيات على الشرع، وهو أمر-أعني-القول عليه جَلَّوَعَلَا بغير علم لم يبحه جَلَّوَعَلَا لأحد من خلقه أن يتقول عليه أو أن يفتات عليه، حتى قال-جَلَّ وَعَزَّ عن خليله ورسوله محمد صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰ آلِهِ وَسَلَّمَ وقد عصمه-جَلَّ وَعَزَّ-من ذلك فكيف بمَن دونه؟، قال جَلَّوَعَلَا: ﴿ وَلَوْ تَقَوَّلَ عَلَيْنَا بَعْضَ ٱلْأَقَاوِيلِ ﴿٤٤﴾ لَأَخَذْنَا مِنْهُ بِٱلْيَمِينِ ﴿٤٥﴾ ثُمَّ لَقَطَعْنَا مِنْهُ ٱلْوَتِينَ ﴿٤٦﴾ فَمَا مِنكُم مِّنْ أَحَدٍ عَنْهُ حَٰجِزِينَ ﴿٤٧﴾ ﴾[الحاقة:٤٤-٤٧].

يقول الإمام ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ في تفسيره: (...قوله: ﴿ وَلَوْ تَقَوَّلَ

[٧] (الرسالة) (رقم ٤٤،٤٥،٤٦ / ص١٩)

عَلَيْنَا... ﴾ أَيْ: مُحَمَّدٌ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، لَوْ كَانَ كَمَا يَزْعُمُونَ مُفْتَرِيًا عَلَيْنَا فَزَادَ فِي الرِّسَالَةِ أَوْ نَقَصَ مِنْهَا، أَوْ قَالَ شَيْئًا مِنْ عِنْدِهِ فَنَسَبَهُ إِلَيْنَا وَلَيْسَ كَذَلِكَ لَعَاجَلْنَاهُ بالعقوبة، ولهذا قال-تَعَالى-: ﴿ ... لَأَخَذْنَا مِنْهُ بِٱلْيَمِينِ ﴿٤٥﴾ ﴾ قِيلَ: مَعْنَاهُ لَانْتَقَمْنَا مِنْهُ بِالْيَمِينِ لِأَنَّهَا أَشَدُّ فِي الْبَطْشِ، وَقِيلَ لَأَخَذْنَا مِنْهُ بِيَمِينِهِ...) ثُمَّ قال جَلَّ وَعَلَا: (...﴿ ثُمَّ لَقَطَعْنَا مِنْهُ ٱلْوَتِينَ ﴿٤٦﴾ ﴾ قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ[رَضِيَ اللهُ-تَعَالى-عَنْهُمَا]: وَهُوَ نِيَاطُ الْقَلْبِ وَهُوَ الْعِرْقُ الَّذِي الْقَلْبُ مُعَلَّقٌ فِيهِ...)أهـ.

قال: (...وَقَوْلُه جَلَّ وَعَلَا ﴿ فَمَا مِنكُم مِّنْ أَحَدٍ عَنْهُ حَٰجِزِينَ ﴿٤٧﴾ ﴾ أَيْ: فما يقدر أحد منكم أَنْ يَحْجِزَ بَيْنَنَا وَبَيْنَهُ إِذَا أَرَدْنَا بِهِ شَيْئًا مِنْ ذَلِكَ...)أهـ.

يقول الإمام ابن كثير ولا زال الكلام له: (...وَالْمَعْنَى فِي هَذَا بَلْ هُوَ صَادِقٌ[صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ] بَارٌّ رَاشِدٌ لِأَنَّ اللَّهَ عَزَّوَجَلَّ مُقَرِّرٌ لَهُ مَا يُبَلِّغُهُ عَنْهُ وَمُؤَيِّدٌ لَهُ بِالْمُعْجِزَاتِ الْبَاهِرَاتِ وَالدَّلَالَاتِ الْقَاطِعَاتِ...)[٨] انتهى كلامه رَحِمَهُ ٱللَّهُ.

فهذه جريمة نكراء عظيمة على الله جَلَّ وَعَلَا أن يفتات العبد على الله

[٨] تفسير ابن كثير

وأن يكذب عليه، ومن الأدلة في هذا الباب تقريرًا قول الله جَلَّوَعَلَا: ﴿ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا أَوْ قَالَ أُوحِيَ إِلَيَّ وَلَمْ يُوحَ إِلَيْهِ شَيْءٌ وَمَن قَالَ سَأُنزِلُ مِثْلَ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ ۗ وَلَوْ تَرَىٰٓ إِذِ ٱلظَّٰلِمُونَ فِي غَمَرَٰتِ ٱلْمَوْتِ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ بَاسِطُوٓا۟ أَيْدِيهِمْ أَخْرِجُوٓا۟ أَنفُسَكُمُ ۖ ٱلْيَوْمَ تُجْزَوْنَ عَذَابَ ٱلْهُونِ بِمَا كُنتُمْ تَقُولُونَ عَلَى ٱللَّهِ غَيْرَ ٱلْحَقِّ وَكُنتُمْ عَنْ ءَايَٰتِهِۦ تَسْتَكْبِرُونَ ﴿٩٣﴾ ﴾[الأنعام:٩٣].

قال العلامة القرطبي رَحِمَهُ ٱللَّهُ في كتاب الجامع لأحكام القرآن[٩]:

(...قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿ وَمَنْ أَظْلَمُ... ﴾ ابْتِدَاءٌ وَخَبَرٌ، أَيْ لَا أَحَدَ أَظْلَمُ، ﴿ ... مِمَّنِ ٱفْتَرَىٰ... ﴾ أَيِ: اخْتَلَقَ ﴿ ... عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا أَوْ قَالَ أُوحِيَ إِلَيَّ... ﴾ فَزَعَمَ أَنَّهُ نَبِيٌّ ﴿ ...وَلَمْ يُوحَ إِلَيْهِ شَيْءٌ ... ﴾...)أهـ.

إلى أن قال: (...وَمِنْ هَذَا النَّمَطِ مَنْ أَعْرَضَ عَنِ الْفِقْهِ وَالسُّنَنِ وَمَا كَانَ عَلَيْهِ السَّلَفُ مِنَ السُّنَنِ فَيَقُولُ: وَقَعَ فِي خَاطِرِي كَذَا، أَوْ أَخْبَرَنِي قَلْبِي بِكَذَا، فَيَحْكُمُونَ بِمَا يَقَعُ فِي قُلُوبِهِمْ وَيَغْلِبُ عَلَيْهِمْ مِنْ خَوَاطِرِهِمْ، وَيَزْعُمُونَ أَنَّ ذَلِكَ لِصَفَائِهَا مِنَ الْأَكْدَارِ وَخُلُوِّهَا مِنَ الْأَغْيَارِ، فَتَتَجَلَّى لَهُمُ الْعُلُومُ الْإِلَهِيَّةُ وَالْحَقَائِقُ الرَّبَّانِيَّةُ، فَيَقِفُونَ عَلَى أَسْرَارِ الْكُلِّيَّاتِ وَيَعْلَمُونَ

[٩] تفسير سورة الأنعام الآية ٩٣

أَحْكَامَ الْجُزْئِيَّاتِ فَيَسْتَغْنُونَ بِهَا عَنْ أَحْكَامِ الشَّرَائِعِ الْكُلِّيَّاتِ، وَيَقُولُونَ: هَذِهِ الْأَحْكَامُ الشَّرْعِيَّةُ الْعَامَّةُ، إِنَّمَا يُحْكَمُ بِهَا عَلَى الْأَغْبِيَاءِ وَالْعَامَّةِ، وَأَمَّا الْأَوْلِيَاءُ وَأَهْلُ الْخُصُوصِ، فَلَا يَحْتَاجُونَ لِتِلْكَ النُّصُوصِ....)، انتهى كلامه رَحِمَهُ ٱللَّهُ.

قال العلامة السعدي-رَحْمَةُ الله عَلَيْه-في تفسيره[١٠]: (...يقول-تَعَالَى-: لا أحد أعظم ظلمًا، ولا أكبر جرمًا، ممن كذب [على] الله، بأن نسب إلى الله قولًا أو حكمًا وهو-تعالى-بريء منه، وإنَّمَا كان هذا أظلم الخلق، لأنَّ فيه من الكذب، وتغيير الأديان أصولها، وفروعها، ونسبة ذلك إلى الله -ما هو من أكبر المفاسد...)، انتهى كلامه رَحِمَهُ ٱللَّهُ.

ومن الأدلة أيها الإخوة التي تقرر عِظَم هذه الجريمة وشناعتها قوله جَلَّوَعَلَا: ﴿ وَلَا تَقُولُواْ لِمَا تَصِفُ أَلْسِنَتُكُمُ ٱلْكَذِبَ هَٰذَا حَلَٰلٌ وَهَٰذَا حَرَامٌ لِّتَفْتَرُواْ عَلَى ٱللَّهِ ٱلْكَذِبَۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَفْتَرُونَ عَلَى ٱللَّهِ ٱلْكَذِبَ لَا يُفْلِحُونَ ﴿١١٦﴾ ﴾[النحل:١١٦].

يقول الإمام ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (...نَهَى-تَعَالَى-عَنْ سُلُوكِ سَبِيلِ الْمُشْرِكِينَ الذين حللوا وحرموا بمجرد ما وصفوه وَاصْطَلَحُوا عَلَيْهِ مِنَ

[١٠] تيسير الكريم الرحمن

الْأَسْمَاءِ بِآرَائِهِمْ...)أهـ.

(...وَيَدْخُلُ فِي هَذَا كُلُّ مَنِ ابْتَدَعَ بِدْعَةً لَيْسَ لَهُ فِيهَا مُسْتَنَدٌ شَرْعِيٌّ، أَوْ حَلَّلَ شَيْئًا مِمَّا حَرَّمَ اللَّهُ، أَوْ حَرَّمَ شَيْئًا مِمَّا أباح الله بمجرد رأيه وتشهيه...).

(...ثُمَّ تَوَعَّدَ عَلَى ذَلِكَ فَقَالَ: ﴿ ...إِنَّ ٱلَّذِينَ يَفْتَرُونَ عَلَى ٱللَّهِ ٱلْكَذِبَ لَا يُفْلِحُونَ ﴿١١٦﴾ ﴾ أَيْ فِي الدُّنْيَا وفِي الْآخِرَةِ، أَمَّا فِي الدُّنْيَا فَمَتَاعٌ قَلِيلٌ، وَأَمَّا فِي الْآخِرَةِ فَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ...)، انتهى كلامه رَحِمَهُ ٱللَّهُ.

ويدخل أيها الأحبَّة في الكذب على الله جَلَّ وَعَلَا-يدخل فيه-والقول عليه جَلَّ وَعَلَا بغير علم الكذب على رسوله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰ آلِهِ وَسَلَّمَ، إذ السنة وحيٌ كما قال-جَلَّ في عُلَاه-: ﴿ وَمَا يَنطِقُ عَنِ ٱلْهَوَىٰٓ ﴿٣﴾ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ ﴿٤﴾ ﴾ [النجم:٣-٤].

وقد توعَّد صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وحذَّر من الكذب عليه وبيَّن أنَّ الكذب عليه ليس كالكذب على غيره، فقال صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كما في الصحيحين[11]: (إِنَّ كَذِبًا عَلَيَّ لَيْسَ كَكَذِبٍ عَلَى أَحَدٍ، مَنْ كَذَبَ عَلَيَّ مُتَعَمِّدًا، فَلْيَتَبَوَّأْ مَقْعَدَهُ مِنَ النَّارِ).

---

[11] البخاري: ١٢٩١، مسلم: ٤/٤

وقوله عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ: (...لَيْسَ كَكَذِبٍ عَلَى أَحَدٍ...) لأنَّ هذا الكذب عليه عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ كذب في الشريعة، والكذب عليه يجعل ذلك الأمر دينًا وليس الأمر كذلك، بل وينفي عن الدين ما هو منه، ويُحِل الحرام ويحرم الحلال، وكفى بذلك إثمًا مبينًا وإفكًا عظيمًا.

وقال صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰ آلِهِ وَسَلَّمَ كما في الصحيحين[١٢] أيضًا: (لاَ تَكْذِبُوا عَلَيَّ، فَإِنَّهُ مَنْ كَذَبَ عَلَيَّ فَلْيَلِجِ النَّارَ).

يقول الحافظ ابن حجر: (...قوله: (لاَ تَكْذِبُوا عَلَيَّ...) عَامٌّ فِي كُلِّ كَاذِبٍ مُطْلَقٌ فِي كُلِّ نَوْعٍ مِنَ الْكَذِبِ وَمَعْنَاهُ لَا تَنْسِبُوا الْكَذِبَ إِلَيَّ...).

يقول الحافظ: (...وَلَا مَفْهُومَ لِقَوْلِهِ (...عليَّ...) لِأَنَّهُ لايتصور أَنْ يُكْذَبَ لَهُ لِنَهْيِهِ [عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ] عَنْ مُطْلَقِ الْكَذِبِ...).

يقول: (...وَقَدِ اغْتَرَّ قَوْمٌ مِنَ الْجَهَلَةِ فَوَضَعُوا أَحَادِيثَ فِي التَّرْغِيبِ وَالتَّرْهِيبِ وَقَالُوا: نَحْنُ لَمْ نَكْذِبْ عَلَيْهِ بَلْ فَعَلْنَا ذَلِكَ لِتَأْيِيدِ شَرِيعَتِهِ وَمَا دروا أَنَّ تَقْوِيلَهُ عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ مَا لَمْ يَقُلْ يَقْتَضِي الْكَذِبَ عَلَى اللَّهِ -تَعَالَى- لِأَنَّهُ إِثْبَاتُ حُكْمٍ مِنَ الْأَحْكَامِ الشَّرْعِيَّةِ سَوَاءٌ كَانَ فِي الْإِيجَابِ أَوِ النَّدْبِ وَكَذَا مُقَابِلُهُمَا وَهُوَ الحَلَال والحرَام...)[١٣] إلى آخر كلامه رَحِمَهُ ٱللَّهُ.

---

[١٢] البخاري: ١٠٦، مسلم: ١/١

[١٣] فتح الباري/ باب: إثم من كذب على النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ

ومن الأدلَّة العظيمة أيها الأحبَّة في هذا الباب قوله جَلَّوَعَلَا: ﴿ قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّيَ ٱلْفَوَٰحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَٱلْإِثْمَ وَٱلْبَغْىَ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ وَأَن تُشْرِكُوا۟ بِٱللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِۦ سُلْطَٰنًا وَأَن تَقُولُوا۟ عَلَى ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٣٣﴾ ﴾ [الأعراف:٣٣].

يقول الامام ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ في كتابه العظيم [إعلام الموقعين]: (...وَقَدْ حَرَّمَ اللَّهُ-سُبْحَانَه-الْقَوْلَ عَلَيْهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ فِي الْفُتْيَا وَالْقَضَاءِ، وَجَعَلَهُ مِنْ أَعْظَمِ الْمُحَرَّمَاتِ، بَلْ جَعَلَهُ فِي الْمَرْتَبَةِ الْعُلْيَا مِنْهَا، فَقَالَ-تَعَالَى-...)، وذكَر الآية من سورة الأعراف آنفة الذكر.

يقول رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (...فَرَتَّبَ الْمُحَرَّمَاتِ أَرْبَعَ مَرَاتِبَ، وَبَدَأَ بِأَسْهَلِهَا وَهُوَ الْفَوَاحِشُ، ثُمَّ ثَنَّى بِمَا هُوَ أَشَدُّ تَحْرِيمًا مِنْهُ وَهُوَ الْإِثْمُ وَالظُّلْمُ، ثُمَّ ثَلَّثَ بِمَا هُوَ أَعْظَمُ تَحْرِيمًا مِنْهُمَا وَهُوَ الشِّرْكُ بِهِ-سُبْحَانَهُ-، ثُمَّ رَبَّعَ بِمَا هُوَ أَشَدُّ تَحْرِيمًا مِنْ ذَلِكَ كُلِّهِ وَهُوَ الْقَوْلُ عَلَيْهِ بِلَا عِلْمٍ...).

يقول رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (...وَهَذَا يَعُمُّ الْقَوْلَ عَلَيْهِ-سُبْحَانَهُ-بِلَا عِلْمٍ فِي أَسْمَائِهِ وَصِفَاتِهِ وَأَفْعَالِهِ وَفِي دِينِهِ وَشَرْعِهِ وَقَالَ-تَعَالَى-: ﴿ وَلَا تَقُولُوا۟ لِمَا تَصِفُ أَلْسِنَتُكُمُ ٱلْكَذِبَ هَٰذَا حَلَٰلٌ وَهَٰذَا حَرَامٌ لِّتَفْتَرُوا۟ عَلَى ٱللَّهِ ٱلْكَذِبَ ۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَفْتَرُونَ عَلَى ٱللَّهِ ٱلْكَذِبَ لَا يُفْلِحُونَ ﴿١١٦﴾ مَتَٰعٌ قَلِيلٌ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ

﴿١١٧﴾[النحل: ١١٦-١١٧]...).

يقول رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (...فَتَقَدَّمَ إِلَيْهِمْ-سُبْحَانَهُ-بِالْوَعِيدِ عَلَى الْكَذِبِ عَلَيْهِ فِي أَحْكَامِهِ، وَقَوْلِهِمْ لِمَا لَمْ يُحَرِّمْهُ: هَذَا حَرَامٌ، وَلِمَا لَمْ يَحِلَّهُ: هَذَا حَلَالٌ، وَهَذَا بَيَانٌ مِنْهُ-سُبْحَانَهُ-أَنَّهُ لَا يَجُوزُ لِلْعَبْدِ أَنْ يَقُولَ: هَذَا حَلَالٌ وَهَذَا حَرَامٌ إِلَّا بِمَا عَلِمَ أَنَّ اللَّهَ-سُبْحَانَهُ-أَحَلَّهُ وَحَرَّمَهُ...).

يقول: (...وَقَالَ بَعْضُ السَّلَفِ: لِيَتَّقِ أَحَدُكُمْ أَنْ يَقُولَ: أَحَلَّ اللَّهُ كَذَا، وَحَرَّمَ كَذَا، فَيَقُولُ اللَّهُ لَهُ: كَذَبْت، لَمْ أُحِلَّ كَذَا، وَلَمْ أُحَرِّمْ كَذَا؛ فَلَا يَنْبَغِي أَنْ يَقُولَ لِمَا لَا يَعْلَمُ وُرُودَ الْوَحْيِ الْمُبِينِ بِتَحْلِيلِهِ وَتَحْرِيمِهِ أَحَلَّهُ اللَّهُ وَحَرَّمه اللَّهُ لِمُجَرَّدِ التَّقْلِيدِ أَوْ بِالتَّأْوِيلِ...)أهـ.

ويقول رَحِمَهُ ٱللَّهُ أيضًا في كتابه العظيم [مدارج السالكين][١٤]: (...وأمَّا القولُ علَى اللهِ بلا علمٍ، فهُو أشدُّ هذه المحرَّماتِ تحريماً، وأعظمُها إثْمَاً، ولهذا ذُكرَ في المرتبةِ الرَّابعة من المحرَّمات الَّتي اتَّفقت عليها الشَّرائعُ والأديانُ، ولا تُباحُ بحالٍ، بلْ لا تَكونُ إلاَّ محرَّمةً، وليستْ كالميتةِ والدَّمِ ولحمِ الخنزيرِ، الذي يُباحُ في حالٍ دونَ حالٍ.

يقول رَحِمَهُ ٱللَّهُ وانتبه يا عبد الله إلى هذا الكلام النفيس، قال: (..فالْمُحَرَّمَاتِ نَوعَانِ:

---

[١٤] (٣٧٢/١)

- مُحَرَّمٌ لذاتِهِ، لا يُباحُ بحالٍ.
- ومُحَرَّمٌ تحريماً عارضاً في وقتٍ دونَ وقتٍ.

قَالَ-تَعالَى-فِي الْمُحَرَّم لذَاتِهِ: ﴿ **قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّيَ ٱلْفَوَٰحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ** ... ﴾، ثُمَّ انْتقلَ منهُ إلى مَا هُو أَعْظَمُ منْهُ فَقَالَ: ﴿ ...**وَٱلْإِثْمَ وَٱلْبَغْىَ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ** ... ﴾، ثُمَّ انْتَقَلَ منْهُ إِلَى مَا هُو أَعْظَمُ منْهُ فَقَالَ: ﴿ ... **وَأَن تُشْرِكُوا۟ بِٱللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِۦ سُلْطَٰنًا** ... ﴾، ثُمَّ انْتَقَلَ منْهُ إِلَى مَا هُو أَعْظَمُ مِنْهُ فَقَالَ ﴿ ...**وَأَن تَقُولُوا۟ عَلَى ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ** ﴿٣٣﴾ ﴾ [الأعراف:٣٣].

فَهَذا أَعْظَمُ الْمُحَرَّمَاتِ عنْدَ اللهِ وَأَشَدُّها إِثْمَاً، فَإِنَّهُ يَتَضَمَّنُ الكَذِبَ عَلَى اللهِ، وَنِسْبَتِهِ إِلَى مَا لاَ يَلِيْقُ بِهِ، وَتَغْيِير دِيْنِهِ وَتَبْدِيلِهِ، وَنَفْي مَا أَثْبَتَهُ وَإِثْبَاتِ مَا نَفَاهُ، وتَحْقِيْقَ مَا أَبْطَلَهُ وَإِبْطَالِ مَا حَقَّقَهُ، وَعَدَاوَةَ مَنْ وَالاَهُ وَمُوالاةَ مَنْ عَادَاهُ، وَحُبَّ مَا أَبْغَضَهُ وَبُغْضَ مَا أحبَّهُ، وَوَصْفَهُ بِمَا لاَ يَلِيقُ بِهِ فِي ذَاتِهِ وَصِفَاتِهِ وَأَقْوَالِهِ وَأَفْعَالِهِ.

فَلَيْسَ فِي أَجْنَاسِ الْمُحَرَّمَاتِ أَعْظَمُ عنْدَ اللهِ منْهُ، وَلاَ أَشَدُّ إِثْماً، وهُو أَصْلُ الشِّرْكِ وَالكُفْرِ...) يعني: القول عليه بغير علم، (...أَصْلُ الشِّرْكِ وَالكُفْرِ وعليْهِ أُسِّسَتِ البِدَعُ وَالضَّلاَلاَتُ، فَكُلُّ بِدْعَةٍ مُضِلَّةٍ فِي الدِّينِ أَسَاسُهَا القَولُ عَلى اللهِ بِلاَ عِلْمٍ.

قال رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (...وَلِهَذا اشتدَّ نَكيرُ السَّلفِ وَالأئمَّةِ لَهَا، وصَاحُوا بِأَهْلِهَا مِنْ أَقْطَارِ الأَرْضِ، وَحَذَّروا فِتْنَتَهُم أَشَدَّ التَّحْذيرِ، وبَالَغُوا فِي ذَلِكَ مَا لَمْ يُبَالِغُوا مِثْلَهُ فِي إنْكَارِ الفَواحشِ، وَالظُّلْمِ وَالعُدْوَانِ، إذْ مَضَرَّةُ البِدَعِ وَهَدْمُها للدِّيْنِ وَمُنَافَاتُهَا له أشدُّ.

وَقَد أَنْكرَ اللهُ-تَعالَى-عَلَى مَنْ نَسَبَ إِلَى دِيْنِهِ تَحْليلَ شَيءٍ أوْ تَحْرِيْمَهُ مِنْ عنْدِهِ بِلاَ بُرْهَانٍ مِنَ الله، فقَالَ ﴿ وَلَا تَقُولُواْ لِمَا تَصِفُ أَلۡسِنَتُكُمُ ٱلۡكَذِبَ هَٰذَا حَلَٰلٞ وَهَٰذَا حَرَامٞ لِّتَفۡتَرُواْ عَلَى ٱللَّهِ ٱلۡكَذِبَۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَفۡتَرُونَ عَلَى ٱللَّهِ ٱلۡكَذِبَ لَا يُفۡلِحُونَ ١١٦ ﴾[النحل:١١٦]...).

قال: (...فكيفَ بِمَنْ نَسَبَ إلى أَوْصَافِهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ مَا لَمْ يَصِف به نَفْسهُ؟، أو نَفىَ عنْهُ مِنْهَا مَا وَصَفَ به نَفْسَهُ؟!.

إلى أن قال: (...وأصْلُ الشِّرْكِ وَالكُفرِ هُوَ: القَولُ عَلَى الله بلاَ عِلْمٍ، فَإنَّ الْمُشْرِكَ يَزْعُمُ أَنَّ مَن اتَّخذَهُ مَعْبُوداً مِنْ دُونِ الله يُقَرِّبُهُ إلَى الله، وَيَشْفَعُ لَهُ عِنْدَهُ، وَيَقْضِي حَاجَتَهُ بِوَاسِطَتِهِ، كمَا تَكُونُ الوَسَائِطُ عِنْدَ الْمُلُوكِ، فَكُلُّ مُشْرِكٍ قَائِلٌ عَلى الله بِلاَ عِلْمٍ، دُونَ العَكس، إذ القَولُ عَلى الله بِلاَ عِلْمٍ قَدْ يَتَضَمَّنُ التَّعْطِيْلَ وَالابْتِدَاعَ فِي دِينِ الله، فهُو أعَمُّ مِنَ الشِّرْكِ، وَالشِّرْكُ فَردٌ منْ أَفْرادِهِ.

ولَهذا كانَ الكَذبُ عَلَى رَسُولِ الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مُوجِباً لدُخُولِ

النَّارِ، وَاتِّخَاذِ مَنْزِلِهِ مِنْهَا مُبَوَّءًا، وهُو الْمَنْزِلُ اللازمُ الَّذي لاَ يُفَارِقُهُ صَاحِبُهُ، لأَنَّهُ مُتَضمِّنٌ للقَولِ عَلَى اللهِ بِلاَ عِلْمٍ، كَصَرِيحِ الكَذبِ عَليهِ؛ لأنَّ مَا انْضَافَ إِلَى الرَّسُولِ [عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ] فَهُو مُضَافٌ إِلَى الْمُرْسِلِ، وَالقَولُ عَلَى اللهِ بِلاَ عِلْمٍ صَرِيحُ افْتراءِ الكَذِبِ عَليهِ [قال جَلَّ وَعَلَا]: ﴿ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا ... ﴿٩٣﴾ ﴾[الأنعام:٩٣].

فَذُنُوبُ أَهْلِ البِدَعِ كُلُّها دَاخِلةٌ تَحتَ هَذا الْجِنْسِ، فَلا تَتَحَقَّقُ التَّوبةُ منْهُ إِلاَّ بالتَّوبَةِ مِنَ البِدَعِ، وَأَنَّى بالتَّوبة منْهَا لِمَنْ لَمْ يَعْلَم أَنَّها بدْعةٌ، أو يَظنُّها سنَّةً، فَهُو يَدْعُو إِلَيْهَا، وَيَحُضُّ عليْها؟ فَلاَ تَنْكَشِفُ لِهَذا ذُنُوبهُ الَّتي تَجبُ عليهِ التَّوبةُ منْهَا إِلاَّ بِتَضَلُّعِهِ مِنَ السُّنَّةِ، وَكَثْرَةِ اطِّلاعهِ عَلَيْهَا، وَدَوامِ البَحْثِ عَنْهَا وَ التَّفْتِيْشِ عَلَيْهَا، وَلاَ تَرىَ صَاحبَ بِدْعَةٍ كَذَلِكَ أَبَدًا...)، انتهى كلامه رَحِمَهُ ٱللَّهُ-تَعَالى-وغفر له.

إذن أيها الأحبَّة هي جريمة عظيمة، هي جريمة عظيمة أيها الأحبَّة القول على الله بغير علم، فيجب على المؤمن الذي يريد نجاة نفسه بين يدي الله جَلَّ وَعَلَا أن يتقي الله فيما يأتي ويذر وأن يراقب الله في قوله وفعله وفي شأنه كله، وما أكثر الافتيات على الشريعة وما أكثر التأصيلات الفاسدة التي في حقيقتها هي قول على الله بغير علم.

وما ترون وتسمعون في مثل هذه الأزمان التي كثرت فيها الفتن-

نعوذ بالله منها ومن أهلها-ما نتيجة تلك التأصيلات الفاسدة البعيدة عن السنة وتأصيلات أهلها إلَّا نتيجة القول على الله عَزَّوَجَلَّ بغير علم، هذه نتيجة حتمية لِهذه الجريمة النكراء العجيبة التي هي شعار مرفوع لأهل البدع قديمًا وحديثًا، وما أعظم ما قال العلامة السعدي رَحِمَهُ ٱللَّهُ في رسالة له نافعة في آداب المعلم والمتعلم، قال:

(...لَيْسَ هَذَا بنَاقصٍ لأَقْدَارِهِمْ...)-يعني-: أن يقول المعلم للمتعلم جوابًا في ما لا يعلم الله أعلم، ليس هذا قوله المعلِّم للمتعلم الله أعلم (...لَيْسَ هَذَا بنَاقصٍ لأَقْدَارِهِمْ بَلْ هَذا مِمَّا يَزِيدُ قَدْرَهُمْ، وَيُسْتَدَلُّ به عَلَى دِيْنِهِمْ، وَتَحرِّيهِمْ للصَّواب، وفِي تَوقُّفه عمَّا لاَ يَعْلَمُ فَوائد كَثِيرة منْها:...)

قال: (...أنَّ هَذا هُو الوَاجِبُ علَيْهِ...).

﴿ وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ ۚ إِنَّ ٱلسَّمْعَ وَٱلْبَصَرَ وَٱلْفُؤَادَ كُلُّ أُوْلَٰٓئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْـُٔولًا ﴿٣٦﴾ ﴾ [الإسراء:٣٦].

يقول: (...منها: ...أنَّ هَذا هُو الوَاجِبُ علَيْهِ.

ومنها: أنَّه إذَا تَوقَّفَ وَقالَ: لا أَعْلَمُ، فَمَا أَسْرَعَ مَا يَأْتيهِ عِلْم ذَلكَ، إمَّا مِنْ مُرَاجَعَتِهِ أوْ مُرَاجَعةِ غَيْرِهِ، فإنَّ الْمُتَعلِّمَ إذَا رَأى مُعَلِّمهُ تَوقَّفَ جَدَّ واجْتَهَدَ فِي تَحْصيلِ عِلْمهَا وَإِتْحَافِ الْمُعَلِّمِ بِهَا، فمَا أَحْسَنَ هَذا الأَثر...).

قال: (...ومنْها: أَنَّهُ إذَا تَوقَّفَ عمَّا لاَ يَعرف كانَ دَليلاً عَلَى ثِقَتِهِ وَإِتْقَانِهِ فِيْمَا يَجْزِمُ به منَ الْمَسَائلِ، كمَا أنَّ مَنْ عُرِفَ منْهُ الإقْدَام عَلى الكَلاَمِ فيْمَا لاَ يَعْلَمُ كَانَ ذَلكَ دَاعياً للرّيب فِي كُلِّ مَا يَتكلَّمُ بهِ، حَتَّى فِي الأُمُورِ الوَاضِحَةِ.

ومنْها [أي من ثمرات ذلك أو من فوائده]: أنَّ الْمُعَلِّمَ إذَا رَأَى منْهُ الْمُتَعلِّمُونَ تَوقُّفهُ عمَّا لاَ يَعْلَمُ، كَانَ ذَلِكَ تَعْلِيْماً لَهُم وَإِرْشَاداً إلى هَذهِ الطَّرِيْقَة الْحَسَنَةِ، وَالاقْتِدَاءُ بالأَحْوَالِ وَالأَعْمَالِ أَبْلَغُ مِنَ الاقْتِدَاءِ بِالأَقْوَالِ...) انتهى كلامه رَحِمَهُ ٱللَّهُ.

هذا كلامه رَحِمَهُ ٱللَّهُ في من يقول لطلبته ومن سأله (**الله أعلم**) فكيف هذه الآثار الحميدة وضدها آثار سيئة لمن قال في ما لا يعلم بغير علم؟، فالافتيات أيها الإخوة على الشريعة بدعة منكرة مضلَّة في الدين مضلِّلَة نسأل الله العافية والسلامة.

نكتفي بهذا القدر ونقف عنده، ونسأل الله-جَلَّ في عُلَاه-أن يرزقنا وإياكم خشيته في السرِّ والعلن وأن يبارك لنا ولكم في الأعمال والأعمار والأوقات، وأن يلهمنا الرشد في الرضا والغضب، والصواب في القول والعمل إنَّه جواد كريم.

وصلَّى الله على رسول الله وعلى آله وصحبه وسلَّم.

جزى الله فضيلة الشيخ خير الجزاء على ما قدَّم وأفاد، ونسأل الله عَزَّوَجَلَّ أن يجعل ما قال في موازين حسناته يوم القيامة.

من إصدارات شبكة الإمام الآجري لعام ١٤٣٤ للهجرة النبوية الشريفة